حوار من نوع آخر
حول «الحوار» و «الوحدة الوطنية»

صبري جريس

«من شبَّ على شيء شاب عليه».

ومن كان يشكو من مرض في صغره، تزداد معاناته من هذا المرض في كبره، وتكثر همومه ومشاكله، وتقل الفائدة المرجوّة منه.

وهذا هو حالنا مع منظمات المقاومة الفلسطينية، التي تشكل لحمة منظمة التحرير الفلسطينية وسداها، وهي التي تصف نفسها، وتوصف، بأنها «الممثل الشرعي الوحيد» للشعب الفلسطيني.

فلقد أثمرت، اخيراً، الجهود «المباركة» والمساعي «الحميدة»، فتجرأ زعماء عدد من رجالات منظمات المقاومة الصغيرة على الالتقاء علناً بـ «رموز الانحراف» في «القيادة اليمينية المتنفذة» لمنظمة التحرير الفلسطينية، وعلى رأسها «سادات فلسطين»، وذلك بعد «حوار» مع ممثلي «الزمر العرفاتية»؛ فتحققت، بذلك، بقدرة قادر، «الوحدة الوطنية» الميمونة، وعُقدت الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني خلال النصف الثاني من نيسان (ابريل) المنصرم.

ونتيجة لقناعتنا، بناء على تجارب الماضي العديدة، بأن لا فائدة ترتجى من تلك «الوحدة»، وان تلاقي الابوات/الاخوة/الرفاق وصحبهم، او عدم تلاقيهم، يكاد يكون، من حيث محصلته، الشيء ذاته تقريباً؛ ولحدسنا بأن الدورة الاخيرة للمجلس الوطني لن تكون مختلفة، في ممارستها وقراراتها الانشائية، عن اي من الدورات العديدة التي سبقتها (بعد ان اعتقدنا ـ خطأ، كما اتضح ـ بأن زلزال لبنان ١٩٨٢ و١٩٨٣، وما تبعه من كوارث خلال السنوات التالية، قد يعيد البعض الى رشده) ارتأينا، هذه المرة، التنازل عن شرف المساهمة في اعمال المجلس، وامتنعنا، بالتالي، قصداً، عن حضور جلساته.

ولكن، بما ان الموسم هو موسم «الحوارات الوطنية»، المرفقة بأبهى آيات مسح الجوخ المتبادل بين الابوات والاخوة والرفاق (واجهزة اعلامهم أيضاً)، والمبهَّرة كذلك بالتصريحات الطنانة الرنانة، رأينا ان نساهم نحن، أيضاً، في هذه «الحوارات» ـ على طريقتنا.

وتصبح ضرورة هذا «الحوار» اكثر الحاحاً في ضوء نتائج المجلس الموقر، التي لم تسفر عن قرارات شبيهة بتلك التي اعتادت الدورات السابقة على اعتمادها، رغم نواقصها، فحسب، بل انها انخفضت حتى عن ذلك المستوى، فجاءت متسرعة، وفجة، لا تنم عن نضوج سياسي كبير. ومن هنا، بدا كأنها بمثابة قفزة الى وراء، لا تخلو من خطورة، بل ويصح فيها قول المثل: جاء ليكحِّلها، فعماها.

وما نسميه، تجاوزاً، «حواراً» لا ينبغي، ولا يجوز، ان يكون، عملياً، الا بمثابة جردة حساب، نشعر بأن من الضروري، والملح، محاولة وضع أُطرلها، على الاقل، دون امكان الخوض في تفاصيلها المذهلة والمحزنة (التي قد تغطي مئات الصفحات، نظراً الى تشعباتها التي لا تنتهي)، بعد ان وصلت